***التَّعريب:**

يُرادُ بتعريب الاسم الأعجميّ: أنْ تتفوهَ به العربُ على مناهجها في الكلامِ، تقولُ: عَرَّبَتْهُ العربُ وأعْرَبَتْهُ أيضًا، وقيلَ في تعريفِ المُعَرَّبِ أيضًا: هو ما استعملتهُ العربُ مِنْ الألفاظِ الموضوعةِ لمعانٍ في غير لغتها.

أي إنَّ العربَ طَوّعتِ اللَّفظَ الأجنبي بألسنتها، فَغَيَّرَتْ فيه بالزّيادة، أو النُّقصان، أو الإبدال في الأصوات، بحيث يجري بحسب أَبْنيتها ويوافق أصواتها، حتّى يغدو على صورةٍ شبيهةٍ بصورة الألفاظِ العربيّة.

وقد نالَ التَّعريبُ عنايةً واضحةً مِنَ العربِ بسبب أهمّيَّته لهم؛ لاتّصالهم قديمًا بالأممِ المجاورةِ، واطّلاعهم على الثَّقافاتِ الأجنبيةِ، فكانَ لا بُدَّ لهم مِنَ التَّأثُّر والتَّأثير، فأخذوا وأَعطوا؛ لأنَّ الحضارةَ آخذة بأسبابِ التَّقدّم في ميادين المعرفةِ المختلفة. لكنَّ العربَ تصرَّفوا بما أخذوه مِنَ اللُّغاتِ الأُخرى، فكثير مِنَ الألفاظِ المعرَّبةِ لم تكنْ هذهِ هَيْأتها أصواتًا وبنيةً في اللّغةِ التي انحدرتْ منها، إذ لم يبقَ الجانبُ الصّوتيُّ فيها محافظًا على هيأتهِ القديمةِ؛ لأنَّ العربيةَ تمسكتْ بما لديها مِنَ الأصواتِ، ولم تشأ أنْ تضيفَ إليها صوتًا جديدًا غيرَ مألوفٍ فيها؛ لذلك طرأتْ على كثيرٍ مِنْ أصواتِ الكلماتِ الأعجميةِ تغييراتٌ بالإبدالِ والحذفِ والزّيادةِ مع مراعاةِ أصواتِ اللَّفظِ نفسهِ.

واستعملَ العربُ إلى جانبِ المعرَّبِ ألفاظًا أعجميةً كما هي في لغتها الأصليةِ فلم يُغَيّروا فيها شيئًا، وقد أُطلِقَ عليها اسمُ الأعجميّ الدَّخيل، وربَّما اكْتُفِيَ بتسميتِها بـ(الدَّخيل)، فكأنَّهم أرادوا بهذهِ التّسميةِ استبعادَها مِنَ العربيةِ، وتَمْييزَها ممَّا هو مُعَرَّبٌ أو عربيٌّ؛ لأنَّ المُعَرَّبَ قد صارَ بعدَ تغييرهِ عربيًا.

غيرَ أنَّ المتأخرينَ مِنَ المؤلفينَ لم يلتزموا بهذا التَّمييز بين النَّوعينِ: أعني المعرّبَ والدّخيلَ، فأطلقوا على المعرَّبِ اسمَ الدّخيلِ أيضًا، على نحوِ ما نجدُه في كتابِ شهاب الدّين الخفاجيّ –المتوفّى سنة1069للهجرة– الذي سمَّاهُ: (شفاء الغَلِيلِ في ما في كلامِ العربِ مِنَ الدَّخيلِ).

وقد دلَّت البحوثُ على أنَّ العربَ قد اقترضتْ قبلَ الإسلامِ منَ اللُّغاتِ الشَّرقيَّةِ كالآراميَّةِ، والفارسيَّةِ، والحبشيَّةِ، والعِبْريَّةِ، والهِنديَّةِ (السِّنْسِكْرِيْتِيَّة)، واقترضتْ أيضًا مِنَ اليونانيّةِ (الرُّوميَّة)، وهذا يَدُلُّ على قدرةِ العربيّةِ الفائقةِ على استيعابِ الجديدِ مِنَ الألفاظِ، وهضمهِ؛ ليكونَ جزءًا منها، مُعَبِّرًا عن شؤونِ الحياةِ المختلفةِ.

وليستِ العربيَّةُ بِدْعًا بينَ اللّغاتِ حينَ أَفادتْ مِنْ ظاهرةِ الإبدالِ لتعريبِ اللَّفظِ، فقد صنعَ الفُرْسُ صَنِيْعَ العربِ حينَ لم يجدوا بينَ أصواتِ لغتِهم (العينَ، والغينَ، والحاءَ، والقافَ، والطّاءَ، والظّاءَ، والصّادَ، والضّادَ، والذّالَ، والثّاءَ)، فإذا اضطروا إلى أنْ يتكلَّموا بكلمةٍ عربيّةٍ أو مُعَرَّبَةٍ في بِنْيَتها حرفٌ من هذهِ الحروفِ أبدلوا ذلكَ الحرفَ بحرفٍ قريبٍ منهُ في المخرجِ، كما في إبدالِ الحاءِ هاءً، فقالوا: في (مُحَمَّد) (مُهَمَّد).

ومِنَ الأمثلةِ على التَّعريبِ بالاعتماد على الإبدالِ كلمة (الجَوْز) التي كانَت تُنطقُ (كَوز)، ويبدو أنَّهم كانوا ينطقونَها بصوتٍ بينَ (الجيم والكافِ)، أي: الصَّوت المماثل لصوت (G) في اللُّغةِ الإنكليزيّة، لذلكَ أحدثتِ العربُ في هذا اللَّفظِ تغييرًا، فأبدلوا الكَاف جيمًا، فتحوَّلَ لفظُ كَوز إلى جوز.

ومنَ الأمثلةِ على ذلك أيضًا كلمةُ (مُهَنْدِس) التي كانت في الأصلِ عندَ الأعاجمِ (مُهَنْدِز)، فأبدلتِ العربُ الزَّايَ سينًا؛ لأنَّهُ ليسَ في كلام العربِ على ما ذكرَ اللّغويّونَ زايٌ بعدَ دالٍ.

وهناكَ عَلائِمُ وسماتٌ وضعها اللّغويّونَ؛ لتمييزِ اللّفظِ المُعَرَّبِ والدَّخيلِ مِنَ اللَّفظِ العربيّ، وهي:

1-إذا خلا اللَّفظُ الرُّباعيُّ والخماسيُّ منَ (لام، أو راء، أو نون، أو فاء، أو باء) فإنَّ هذا اللَّفظَ يُعَدُّ دخيلًا، كما في (العَسْجَد).

2-إذا كان اللّفظُ فيه نون بعدها راء فهوَ مُعَرَّبٌ، مثل: (النَّرْجِس)، و(النَّرْد).

3-إذا اجتمعت الجيمُ والقافُ في كلمةٍ، فإنَّ هذهِ الكلمةَ تُعَدُّ مُعَرَّبَةً، كما في (الجَوالِق).

4-إذا اجتمعتْ صادٌ وجيمٌ في كلمةٍ، فإنَّ هذهِ الكلمةَ تُعَدُّ مُعَرَّبَةً، كما في (الجُصّ)، و(الصَّوْلَجان).

5-إذا اجتمعت الطَّاءُ مع الجيمِ في كلمةٍ، فإنَّ هذهِ الكلمةَ تُعَدُّ مُعَرَّبَةً، كما في (طاجن).

6-إذا اجتمعت الباءُ والسِّينُ والتَّاءُ في كلمةٍ، فإنَّ هذهِ الكلمةَ تُعَدُّ مُعَرَّبَةً، كما في (البُسْتَان)، و(البَسْتُوْقَة).

7-إذا خرجت الكلمةُ عنِ الأوزانِ العربيّةِ، فإنَّ هذهِ الكلمةَ تُعَدُّ مُعَرَّبَةً، كما في (إكْسِيْر)، و(إنْجِيْل).

ولعلَّ أبرزَ الخلافاتِ في ظاهرةِ التَّعريبِ يُظْهِرُهُ الكلامُ الذي يَتَّصلُ منها بالقرآنِ الكريمِ، إذ اختلفَ اللُّغويّونَ والمفسِّرونَ في قضيةِ وقوعِ المعرَّبِ في القرآن الكريمِ، على ثلاثة طوائف:

1-الطّائفة الأولى: ومنهم الشَّافعيُّ -المتوفّى سنة204للهجرة-، وأبو عبيدةَ-المتوفّى سنة210للهجرة-، والطَّبَرِيُّ -المتوفّى سنة310للهجرة-، وابنُ فارسٍ -المتوفّى سنة 395للهجرة-، وغيرهم، فقد ذهبَ هؤلاء إلى إنكارِ وقوعِ المُعَرَّبِ في القرآنِ الكريمِ؛ تنزيهًا له مِنَ اللَّفظِ الأعجميّ، محتجّين بقولهِ تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))[يوسف2]، وقوله تعالى: ((بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ))[الشّعراء195]، وقوله تعالى: ((وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)) [فصلت44].

قالَ أبو عبيدةَ في كتابهِ (مجاز القرآن): "إنَّما أُنزِلَ القرآنُ بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، فمَنْ زَعَمَ أنّ فيهِ غيرَ العربيّةِ فقد أَعْظَمَ القولَ، وَمنْ زعمَ أنَّ كّذا بالنَّبطِيَّةِ فقد أكْبَرَ القولَ".

وتابعه ابنُ فارسٍ ذاهبًا إلى أنَّ "القرآن لو كانَ فيه مِنْ غيرِ لغةِ العرب شيءٌ لَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أنَّ العربَ إنَّما عَجَزَتْ عنِ الإتيانِ بمثلهِ؛ لأنَّهُ أتى بلغاتٍ لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه، فلا يَظُنُّ ظانٌّ أنَّ فيهِ تَعجيزًا لا إعجازًا".

ويَعُدُّ هؤلاءِ الألفاظَ القرآنيّةَ المنسوبةَ إلى لغاتٍ أُخرى من بابِ اتفاقِ اللُّغاتِ، أي: ممَّا وافقَ الأعجميُّ العربيّ.

2-الطّائفة الثّانية: ومنهم الثّعالبيُّ -المتوفّى سنة429للهجرة-، والسّيوطيّ-المتوفّى سنة911للهجرة-، وغيرهما، فقد ذهب هؤلاء إلى القول بوقوع المعرب في القرآن الكريم، ولا يُعَدُّ هذا الأمر كما يرون مطعنًا على كتاب الله العزيز"؛ لأنّ "في القرآن من كل لسان"، فقد نقل الثَّعالبيّ عن بعضهم أنه "ليس لغة في الدُّنيا إلاَّ وهي في القرآن".

ويبدو أنَّ السّيوطيّ من أنصار هذهِ الطَّائفة، فقد عَلَّقَ على هذا الكلام بقوله "فهذا إشارَة إلى أنَّ حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنّهُ حوى علوم الأوَّلين والآخِرين ونبأ كلّ شيء".

واعتذرت هذه الطّائفة بأنَّ العربيّة واسعة وأنّ كلمات قليلة من غيرها في القرآن الكريم لا تخرجه عن كونه عربيًّا مُبِيْنًا.

3-الطائفة الثالثة: ومنهم أبو عبيد -المتوفّى سنة224للهجرة-، والجواليقيّ-المتوفّى سنة540للهجرة-، وابن الجوزيّ -المتوفّى سنة579للهجرة-، وغيرهم.

وقد حاولت هذه الطّائفة مِن العلماء التي يقف على رأسها أبو عبيد القاسم بن سلام التّوفيق بين الرّأيين المتقدِّمين، يقول أبو عبيد: "والصّواب مِن ذلك عندي -والله أعلم- مذهب فيه تصديق القولين جميعًا، وذلك أنّ هذه الحروف أُصولها أعجميّة كما قال الفقهاء، إلّا أنّها سقطت إلى العرب فأَعْرَبَتْها بألسنتها، وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربيّة، ثمّ نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فَمَنْ قال: إنّها عربية، فهو صادق، ومَنْ قال: أعجميّة فهو صادق". ومالَ إلى هذا القول الجواليقيّ، وابن الجوزيّ، وآخرون.

ولم يكن بعض علماء العربيّة محقّين في القول بتعريب طائفة من الألفاظ في القرآن الكريم، من ذلك ما ذكره عِكْرِمة -المتوفّى سنة105للهجرة- بأنَّ لفظ (حَصَب) بالحبشيّة في قوله تعالى: ((إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ))[الانبياء98].

إنَّ القول بحبشيّة (حصب) لا يصمد أمام البحث؛ لأنّ كثيرًا مِن العلماء تجاهل هذا القول قال الفرَّاء – المتوفّى سنة 207للهجرة-: "الحصب في لغة أهل اليمن : الحطب...والحصب على لغة نجد: ما رَمَيْتَ بهِ النَّارَ كقولِكَ: حَصَبْتُ الرَّجل".

ومَنْ ينظر إلى ما وردَ مِن اشتقاقات مادة (حَصَبَ) في كلام العرب يركن إلى ردِّ قول مَنْ قال: إنَّها أعجمية، ففي الحديث: أنّ رسول الله –صلّى الله عليه وآله وسلّم- (أَمَرَ بتحصيب المسجد)، وهو أنْ تُلْقَى فيه الحَصْباء، وهي الحصى الصِّغار.

وتفسير الآية: أنّ كلّ ما أَلْقَيْتَهُ في النَّار مِن كفّارٌ وأصنام فقد حَصَبْتَها بهم، كما تقول : حَصَبْتُ الرَّجلَ بالحصاء، إذا رميته بها.

ومِن الأمثلة على ذلك أيضًا أنّ بعضهم قال إنَّ (كُوِّرَتْ) في قوله تعالى: ((إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ))[التّكوير1] هو بالفارسيّة، والأصل فيه (كُوْر بِيكَرْد).

والحقّ أنَّ هذا اللَّفظ عربيّ أصيل، وقد قال بعربيَّته معظم اللُّغويّين القدامى؛ لأنَّ (كُوِّرَتْ) عربيّة، وقد وردَ هذا اللَّفظ على هيأة الفعل المضارع في قوله تعالى: ((يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ))[الزّمر5]، واشتقاقه مِن التَّكوير، واللَّفّ، واللَّيّ، إي: يُدْخِل هذا على هذا، وهذا على هذا. والكَوْر في الكلام العربيّ دَوْر العمامة، وكلّ دَوْرٍ كَوْر، تقول العرب: كَارَ الرَّجُلُ العمامة، إذا أدارها على رأسه.

ومن الألفاظ التي لم تتّفق أحكام اللُّغويّين في كونها عربيّة أو أعجميّة (القِسْطاس) في قوله تعالى: ((وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ))[الاسراء35]. ومعنى (القِسْطاس) هو الميزان، فقد قيل: إنَّه عربيّ، مأخوذ من القِسْط، أي: العدل. وقيل: هو رُوميّ مُعَرَّب.

ومن ذلك أيضًا (الفِرْدَوْس)، ومعناه: البستان الذي فيه الكَرْم والأشجار الأخرى، والجمع: فَرَادِيس، فقد ذهب بعض العلماء إلى أنَّه عربيّ مشتقّ من الفَرْدَسَة، وهي: السَّعَة. وذهب آخرون إلى أنّه منقول إلى العربيّة وأصله روميّ.

ومن ذلك لفظ (جَهَنَّم)، فقد قال بعض اللّغويّين: إنَّه مُعَرَّب مِن (كَهنَّام) بالعبرانيّة، وقال آخرون: إنَّه عربيّ، سُمِّيت به نار الآخرة؛ لِبُعْد قَعْرِها.

ومن ذلك لفظ (التَّنُّور)، وهو عين مَاء معروف، وقيل: هو تَنُّور الخابزة، وهو عربيّ. وذهب آخرون إلى أنَّ هذا اللّفظ –التَّنُّور– قائم في لغتي العرب والفرس على لفظ واحد.

وإمّا أسباب التّعريب فيمكن أنْ نلخصها في النِّقاط الآتية:

1-التَّبادل التِّجاريّ: تدخل بسبب التَّبادل التّجاريّ إلى اللّغة أسماء البضائع التي يحملها التّجار إلى الأراضي التي يذهبون إليها، فحين يستقبل النّاس هذه السّلع، يتقبّلون معها أسماءها كما جاءت مِن مناطق ظهورها الأُولى.

2-العامل السّياسيّ والإداريّ: ينتشر التّعريب نتيجة للصّلات السّياسيّة والإداريّة بين الأُمم، كصلات العرب بالفرس، وصلات العرب بالرُّومان.

3-العامل العسكريّ: إنّ طول الاحتكاك بين الشّعوب المتحاربة ينقل إليها آثارًا مِن لغات الآخرين سواء أكان ذلك مِن لغات الحلفاء أو الأعداء.

4-العمل الدِّينيّ: للعامل الدّينيّ أثر واضح في اقتراض العربيّة طائفة من الألفاظ المتعلّقة بالمصطلحات والأفكار الدِّينيّة، كالسُّريانيّة والعبريّة، فالسُّريانية لغة المسحيّين، والعبريَّة لغة اليهود.

5-العامل الثّقافيّ: للعامل الثّقافيّ تأثير كبير في العربية، فقد انتقل إليها بسببهِ كثير من مفردات اللّغة الفارسيّة، واليونانيّة، والحبشيّة، وغيرها.
ولابدّ من التّنبيه على أنّ اللّفظ الأعجميّ عندما يأتي إلى لغة العرب فإنه لا يخرج عن واحدة من الطّرائق الاتية:
الطّريقة الأولى: التّعريب: وفيها يعمد العربيّ إلى تغيير اللّفظ الأعجميّ؛ ليكون مطاوعًا للغة العرب، فَيُغَيِّر في أصواته، أو بنائه، أو كليهما؛ ليوافق أصوات العربية وأبنيتها، كما في (آب ريزه) التي صارت (إِبْرِيْق)، وكما في (كِلِيْذ) التي صارت (إِقْلِيْد).

الطَّريقة الثّانية: إيجاد اللّفظ البديل مِن لغة العرب، ويكون هذا اللّفظ مختلفًا تمامًا عن اللّفظ الأعجميّ، كما في كلمة (الهاتف) بدلًا من (تِلِيْفون)، وكما في (قطار) بدلًا من (شمندفير) أو (رَيْل)، وكما في (سيّارة) بدلًا من (أُوتُومُوبيل)، أي إنّ العربيّة بحثت عمّا يناسب معنى اللّفظ الأعجميّ في كلامها فجاءت بالبديل المناسب.

الطّريقة الثّالثة: بقاء اللّفظ الأعجميّ على حاله كما في (موبايل)، و(إيركندشن)، و(فلورسن). واللّفظ في هذه الحالة يصيبه تغيير طفيف في أصواته، وهذا التّغيير يكون بسبب العادات النُّطقيَّة في لغتنا.

ويُلْحَظ أنَّ ألفاظًا تتنازعها النُّقطتان الثَّانية والثّالثة، فالنّاس لم تتطابق أحكامهم بإزاء ما ورد إليهم من ألفاظ أعجمية، فربّما استعملوا البديل العربيّ المقابل لهُ، وفي الوقت نفسه ربّما استعمل آخرون ذلك اللّفظ نفسه كما ورد إليهم، ومن الأمثلة على ذلك (الموبايل)، فمنهم مَن يقول: (محمول، أو جوّال) بإيجاد البديل، ومنهم مَن يستعمل اللّفظ الأعجميّ كما هو، أي: (موبايل).